

البنيات الأسلوبية في الخطاب الشعري عند مفدي زكريا - قصيدة الذبيح الصاعد انموذجا -

الطالبان: حليمي حسين و قورين العربي

جامعة الشلف/الجزائر

الملخص :

خلفت الثورة الجزائرية المجيدة رصيда أدبيا ثريا شعرا و نثرا ، و جب علينا أن نتدارسه و أن نمعن الدراسة فيه ، لذلك كان موضوع مداخلتي الموسوم بـ: البنيات الأسلوبية في الخطاب الشعري عند مفدي زكريا " قصيدة الذبيح الصاعد " أنموذجا ، و قد اخترت لهذه الدراسة ما يناسبها من منهج لتحليل القصيدة و استخراج ما تكتنزه من بنيات أسلوبية و هو منهج التحليل الأسلوبية عند ميكائيل ريفاتير الذي وضع أسسا وقواعد هامة في إرساء مقومات التحليل الأسلوبية البنيوي و نذكر على سبيل المثال التضافرات الأسلوبية، السياق الأسلوبية ، الانزياح، فكانت قصيدة الذبيح الصاعد لشاعر الثورة التحريرية مفدي زكريا من ديوانه اللهب المقدس أحد العينات التي أطبق عليها هذه القواعد وأسس التحليل الأسلوبية البنيوي لدى ميكائيل ريفاتير.

الكلمات المفتاحية :

التضافرات الأسلوبية : les convergences stylistique / السياق الأسلوبية : contexte
 الانزياح : écart / التناص : intertextualité / الخطاب الشعري : discours poétique
 البنية : structure / الأسلوبية : stylistique.

Résumé

La glorieuse révolution algérienne a laissé un riche patrimoine littéraire , poétique et prose , il est de notre devoir de l'étudier pour ce là l'objet de mon intervention intitulé "structure stylistique dans le discours poétique " chez mofdi Zakaria dans ce poème intitulé (El dhabih Saïd) comme modèle , et j'ai choisi pour cette étude une approche méthodologie poème et extrayant la thésaurisation de la structure stylistique comme méthodologie de l'analyse stylistique chez 'Michael riffatterre qui a établi les bases et les règles dans l'établissement de contexte ، et je cite comme exemple E care، l'analyse stylistique et structurelle ,synergies stylistiquespoème el dhabih Saïd du poète de la révolution algérienne mofdi Zakaria extrait recueil 'el lahibmokadas ' a permet d'appliquer les bases et les règles de l'analyse stylistique structurelle selon Michael riffatterre

السياق الأسلوبية :

يعتبر michael riffatterre رائد البحث الأسلوبية الغربي حيث أفاد الساحة النقدية بمنهج التحليل الأسلوبية البنيوي ، وقد ارتأينا تتبع خطواته في فكّ شفرات النص الأدبي للوصول إلى الغاية البحثية وكذا جمالية النص الشعري ، لذلك كان تركيزنا منصبا على أهم القواعد في التحليل الأسلوبية البنيوي و تطبيقها على الخطاب الشعري عند مفدي زكريا في قصيدة الذبيح الصاعد و استخراج أهم البنيات

الأسلوبية في النص الشعري والبحث عن جمالية السياق الأسلوبي في خطابات مفدي زكريا ، إذ يعرف السياق الأسلوبي بأنه عنصر لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع¹، و يقول مفدي زكريا في مطلع قصيدته :

قام يختال كالمسيح ونيدا يتهدى نشوان، يتلو النشيدا

باسم الثغر، كالملاك، أو كالط فل، يستقبل الصباح الجديد

شامخاً أنفه، جلالاً وتيهاً رافعاً رأسه، يناجي الخلود²

يتضح لنا جلياً من خلال هذه الأبيات مدى البعد التصويري و الخيالي للشاعر مفدي زكريا، حيث صور أحمد زبانة و هو على أهبة للاستعداد للموت في سبيل الوطن دون خوف أو فزع ، مرفوع الرأس مادام هناك خلود في الجنة و مادامت الدنيا زائلة لا تدوم .

شبه مفدي زكريا أحمد زبانة بسيدنا عيسى عليه السلام و مدى شجاعة هذا الرجل ثم انتقل بنا ليشببه بطفل صغير ارتسمت على ملامحه البشاشة في انتظار صبح جديد مشرق ، و هنا نجد كسراً لسياق contexte المعتاد بأن تمثل الشجاعة ببراعة الطفل ثم يعود بنا في البيت الثالث ليحدثنا عن خصوصيات أحمد زبانة وعن مدى رجولته وعدم ارتبائه و فزعه من حكم الإعدام الذي يطبقه عليه العدو المستعمر الغاشم ، حيث نقل لنا الشاعر بحسه الوطني و مدى تأثره المشاهد التي أعقبت إعدام أحمد زبانة الصورة بطريقة بصرية و تصوير دقيق .

جمالية الرمز الشعري:

وظّف الشاعر في هذه الأبيات مفردات لها بعد ديني و اجتماعي و وطني ، نذكر في المجال الديني على سبيل المثال: (المسيح، الملائكة ،الخلود)، و الجانب الاجتماعي(الطفل) أما الجانب الوطني فوظف مفردة (النشيد) ، حيث استطاع الشاعر في هذه الأبيات أن يعطينا بطاقة هوية جزائرية أصيلة تستخلص من الدين الإسلامي و العروبة و الشخصية الجزائرية الخالصة .

تعاضدية التضافرات الاسلوبية:

يستدعي التحليل الأسلوبي البنيوي جملة من الأسس المنهجية التي نذكر منها التضافرات الأسلوبية ، وهي إركام جملة من الإجراءات الأسلوبية المستقلة في نقطة معينة عن النص، ويفترض ريفاتر أن هذا التضافر له قوة إثارة و انتباه ، ولذلك نعتبره معياراً في تناول الباحث الأسلوبي البنيوي ، يسمح بتواصل مباشر مع النص و قد يمكنه من تصحيح هفوات القارئ النموذجي بخصوص مدى إدراكه لمواقع التضافر نفسه.³

رافلاً في خلاخل، زغردت تم لا من لحنها الفضاء البعيدا

حالماً، كالكلیم، كلمه المج د، فشد الحبال يبغي الصعودا

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشع في الكون عيدا

وامتطى مذبح البطولة معراجاً، ووافى السماء يرجو المزيد

وتعالى، مثل المؤذن، يتلو... كلمات الهدى، ويدعو الرقودا

ونداء مضي يهز الوجودا

صرخة، ترجف العوالم منها

واصلبوني فلست أخشى حديدا

اشنقوني، فلست أخشى حبالا

دي، ولا تلتئم، فلست حقودا

وامتثل سافراً محياك جلا

أنا راضٍ إن عاش شعبي سعيدا

واقض يا موت في ما أنت قاضٍ

حرة، مستقلة، لن تبيدا⁴

أنا إن مت، فالجزائر تحيا،

يصور لنا مفدي زكريا في هذه الأبيات مشهدا تاريخيا بصم من طرف الشهيد أحمد زبانة، ليبقى راسخا في أذهان الجزائريين، بشهامته وجراته المتفردتين، وقد وظّف مفدي زكريا بعض الصور الشعرية المكثفة في نقل أحداث هذا المشهد الرهيب، فذكر مثلا: التشبيه التالي (حالماً، كالكلب، كَلَمَه المجد) وفي هذه الصورة البلاغية شبه أحمد زبانة بموسى عليه السلام وهو يتلقى الوحي من رب العزة، حيث أن هذا الأسلوب على المشهد قوة ومنحه بعدا دينيا يربطها ويعاضده بما بعده من الأبيات الشعرية، حيث واصل الشاعر في توظيف الرموز الدينية في قوله :

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشع في الكون عيدا

وكذلك قوله :

كلمات الهدى، ويدعو الرقودا

وتعالى، مثل المؤذن، يتلو...

نجد في هذين البيتين تكتيفا في استخدام الصور الشعرية وهو ما يطلق عليه ميكائيل ريفاتير بالتصايفات الأسلوبية أو الإركمات لأن الشاعر يهدف من خلال هذه الأبيات إلى نقطة معينة ألا وهي كشف مدى صمود أحمد زبانة وصبره على التعذيب وهول المقصلة وهو تعزيز للموقف الأول، فقد كان لمفدي زكريا نقطة مهمة ركز عليها ألا وهي تشبيه أحمد زبانة بالأنبياء ومدى صبرهم وإيمانهم بالفوز بجنة الخلد.

أسلوبية الانزياح :

تعد ظاهرة الإنزياح في الشعر من الظواهر الأسلوبية التي أعطت العمل الشعري صبغة أو حلة جديدة و الإنزياح هو خروج عن المألوف وما يقتضيه الظاهر، أو يعد خروجا عن المعيار لغرض قصد اليه المتكلم أو جاء عفوي الخاطر لكنه يخدم النص بصورة أخرى و بدرجات متفاوتة.

يرى منذر عياشي أن مفهوم الانزياح مرتبط من خلال توضيح علاقة بين اللغة والأسلوب فيقول: ثمة معيار يحدده الاستعمال الفعلي للغة ذلك لأن اللغة نظام وأن تقيد الأداء بهذا النظام هو الذي يجعله معيارا ويعطيه مصداقية على صحة الإنتاج اللغوي، أما الإنزياح فيظهر إزاء هذا على نوعين: إما خروج عن الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج عن النظام اللغوي نفسه أي الخروج على جملة القواعد التي يعبر بها الأداء إلى وجوده⁵.

قدسيًا، فأحسن التريدا

قولة ردّد الزمان صداها

وانقلوها، للجيل، ذكراً مجيدا

احفظوها، زكية كالمثاني

وأقيموا، من شرعها صلواتٍ طبيباتٍ، ولقنوها الوليدا

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر أراد أن ينقل لنا رسالة حية تركها أحمد زبانة للشعب الجزائري ، و هي أن نحافظ على الجزائر ، لأنهم هم من ضحوا بالنفس و النفيس من أجل أن نعيش في حرية و سلام و أمن و اطمئنان - و يُلح الشاعر على أن نتناقل التاريخ بيننا و أن نرسخه للأجيال القادمة فقد بحسه الديني و بعده الوطني ، وجعل هذه الأمانة مثل الصلاة ، و هنا خروج عن المؤلف أيضا فأراد الشاعر أن يورثنا هذه الرسالة مثل العبادة و هي عبادة الصلاة التي نؤديها في خمس أوقات كل يوم دون ملل . كما يُلح مفدي زكريا أن نردد هذا التاريخ على أفواهنا، و هذه دعوة صريحة إلى التحلي بالوطنية الخالصة المتشعبة بالقيم الإسلامية السمحاء .

تأثيرية التناص:

إزعموا قتله...وما صلبوه، ليس في الخالدين، عيسى الوحيدا

لَقَّه جبرئيلُ تحت جناحي ه إلى المنتهى، رضىً شهيدا

وسرى في فم الزمان "زباننا"... مثلاً، في فم الزمان شرودا

يا "زباننا"، أبلغ رفاقك عنا في السماوات، قد حفظنا العهدا

وارو عن ثورة الجزائر، للأف لأك، والكائنات، ذكراً مجيدا

ثورة، لم تك لبغي، وظلم في بلاد، ثارت تفكُّ القيودا⁶

تعد ظاهرة التناص من أهم الملامح الأسلوبية التي يتكئ عليها تحليل البنيوي للنصوص ،(لقد حدده باحثون كثيرون مثل (كريستيفا،و إيرفي ،ولورانت،و ريفاتير): غير أن واحدا من هؤلاء لم يضع تعريفا جامعامانعا وبذلك فإننا سنلجأ-أيضا-إلى استخلاص مقوماته من مختلف التعارف المذكورة)⁷، من خلال التعريف الذي أورده نجد هنا تناسبا و تطابقا مع القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(158)﴾ (النساء:157-158).

لقد جعل الشاعر مفدي زكريا من قصة سيدنا عيسى عليه السلام عبرة ، حيث شبه ما يحدث لأحمد زبانة هو نفسه ما حدث لسيدنا عيسى عليه السلام ، فنجد هنا النص متشعبا بمصطلحات دينية بحتة تحيلنا إلى تأثر مفدي زكريا بالقرآن الكريم و التمثيل بقصصه و هذا سبق شعري لم يسبقه إليه أحد من الشعراء .

كسر السياق الزماني :

نجد الشاعر في هذه القصيدة قد استعمل مختلف الأزمان فيوظف الماضي لسرد أحداث و قصص ،و نجده يوظف المضارع لضرورة إقحام الشاعر في حيوية المشهد و إعطائنا صورة فيها من الحركة للقارئ لهذه القصيدة و يقحمه داخل أجوائها رغما عنه .

واندفعنا مثل الكواسر نرتا دُ المنأيا، وملتقي البارودا

من جبالٍ رهيبية، شامخات،	قد رفعنا عن ذراها البنودا
وشعاب، ممنعات براها	مُبدعُ الكون، للوغى أخذودا
وجيوشٍ، مضت، يد الله تُز	جيهها، وتحمي لواءها المعقودا
من كهولٍ، يقودها الموت للن	صر، فتفتكُ نصرها الموعودا
وشبابٍ، مثل النسور، تَرامى	لا يبالي بروحه، أن يجودا
وشيوخ، محتكين، كرام	مُئنت حكمةً ورأياً سديدا
وصبأيا مخدراتٍ تبارى	كالببوعات، تستفز الجنودا
شاركتُ في الجهاد آدم حوا	هُ ومدّت معاصما وزنودا
أعملت في الجراح، أنملها اللّ	دنّ، وفي الحرب غُصنها الأملودا
فمضى الشعب، بالجماجم	يبني أمةً حرة، وعزاً وطيدا
من دماءٍ، زكية، صبّها الأح	رارُ في مصرّفِ البقاء رصيда
ونظامٍ تخطّه ((ثورة التحرير))	كالوحي، مستقيماً رشيدا ⁹

يوظف الشاعر في هذه الأبيات الأفعال المضارعة مثل (اندفعنا، تحمي) ليكسر بعد ذلك السياق الزماني و يوظف الأفعال الماضية مثل (مضت، شاركت) وهي دلالة واضحة على كفاءة الشاعر في التحكم و خرق الإطار الزمني للقصيدة وكذلك إعطاء القصيدة حركية ، هذا ما يزيد القصيدة (الذبيح الصاعد) لهفة و حضورا في تصوير مشاهدتها لدى القارئ .

أسلوبية التكرار:

يعدّ التكرار من الخصائص الأسلوبية التي يتميز بها الإبداع الفني والإنتاج الأدبي ، تمثل الكلمات المتكررة في النقد الإبداعى محور النصّ و مفاتيحه ، فالكلمة المتكررة هي الأقدر عن تجربته و رؤيته ¹⁰ ، وقد نجد مفدي زكريا يستعمل أسلوب التكرار لبعض الألفاظ في قصيدة الذبيح الصاعد لغرض بلاغي أو لحاجة في نفسية ، فيوظف الموت ، الشعب ،فرنسا، زبانة، الجزائر ،يعتمد الشاعر أسلوب التكرار لترسيخ القضية الجزائرية في قلوب الجزائريين وفي العلم العربي على العموم، و يقوي من عزيمتنا ،وهذه مصطلحات كلها تدل على الوطنية و تدعو إلى نبذ الاستعمار الغاشم .

أسلوبية التضاد :

أنا إن مت، فالجزائر تحيا ، حرة، مستقلة، لن تبيدا

استعمل الشاعر سمةً أسلوبية وغايته التأثير في المتلقي واستمالاته ، تبرز هذه السمة في توظيفه للتضاد ، و نعني به التضاد الحاد الذي ورد مفهومه عند منقور عبد الجليل بمسمى التضاد غير المتدرج مثل (حي _ ميت) فهما كلمتان متقابلتان في الدلالة و نفي أحد طرفي التقابل يعني الاعتراف بالآخر.¹¹

ونرى من خلال هذه التقابلات اللفظية التي ينبني عليها عنصر التضاد في القصيدة أنها تشير إلى سمة أسلوبية تبرز في سعي الشاعر إلى جلب انتباه المتلقي و التأثير في نفسيته و استمالاته و تأكيد على فعل الثورة في استرجاع السيادة الوطنية مثلما أخذت بالقوة تسترد بالقوة و لو كلفنا الموت في سبيل الو

يستخلص مما سبق معالجته من قضايا أسلوبية في قصيدة الذبيح الصاعد للشاعر الثوري الجزائري مفدي زكرياء أنها برزت وتجلت باعتماد منهج التحليل الأسلوبي البيئي لريفاتر، إذ تجلّى لنا من خلال دراسة القصيدة الكشف عن شتى جنباتها الأسلوبية المتمثلة في السياق الأسلوبي أسلوبية التكرار، أسلوبية الانزياح، الرمز أسلوبية التضاد، فقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نستخلص سمات القصيدة الأسلوبية من خلال تطبيق معايير المنهج التحليل الأسلوبي المتمثلة في كسر السياق ومعايير التضافر الأسلوبية.

مراجع البحث:

- 1-معايير التحليل الأسلوبي، ميكائيل ريفاتير، تر: حميد الحمداني، منشورات دار تسال، الدار البيضاء، المغرب، ص10
- 2-اللهب المقدس، مفدي زكرياء، موقف للنشر، الجزائر، ص17
- 3-ميكائيل ريفاتير، تر: حميد الحمداني، منشورات، دار نانتال، دار البيضاء، المغرب، ص10 معايير التحليل الأسلوبي، ميكا
- 4-اللهب المقدس، مفدي زكرياء، موقف للنشر، الجزائر، ص18
- 5-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف ابو العدوس، دار الميرة، عمان، ط2007، 1، ص180
- 6-اللهب المقدس، مفدي زكرياء، موقف للنشر، الجزائر، ص18
- 7تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، محمد مفتاح المركز الثقافي العربي لبنان _مغرب، ط1992، 3، ص121/120،⁷
- 8سورة النساء
- 9-اللهب المقدس، مفدي زكرياء، موقف للنشر، الجزائر، ص19
- 10الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف ابو العدوس، دار الميرة، عمان، ط2007، 1، ص180
- 11علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي _ دراسة _ منقور عبد الجليل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001، ص94